

الرَّسَالَة ٧١

امْرَأَة عَظِيمَة!

(Arabic - A great woman)

أحبابي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: امْرَأَة عَظِيمَة!

ومن سفر الملوك الثاني الأصحاح الرابع نقرأ الجزء الأول من العدد الثامن:

"وفي ذات يوم عبر أليشع إلى شونم.. وكانت هناك امرأة عظيمة".^١

حينما نسمع قصة من قصص الكتاب المقدس عن رجل يُشار إليه بأنه عظيم أو امرأة يُشار إليها بأنها عظيمة.. تتملكنا رغبة لمعرفة أسرار العظمة في تلك الشخصيّة.. وكثيراً ما نشترق إلى أن تكون لنا خصالهم الحميدة التي جعلت من هؤلاء البشر عظماء.. ومن منا لا يريد أن يكون عظيماً حسب مقاييس كلمة الله؟! لقد رسم السيد المسيح الخطوط العريضة للعظمة الحقيقية لتلاميذه ورسله وسجلوها لنا فيما كتبوا بالوحي الإلهي.

ذكر مرقس التبشير في إنجيله أن تلميذين من تلاميذ السيد المسيح وهما يعقوب ويوحنا. سألاه أن يعطيهم أن يجلسوا واحد عن يمينه والآخر عن يساره في مجده.. ولما سمع العشرة الباقون ابتدأوا يغتاطون من أجل يعقوب ويوحنا.. ولكن الرب يسوع أجاب بالقول: "من أراد أن يكون فيكم عظيماً يكون لکم خادماً.. ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً. لأن ابن الإنسان أيضاً لم يات ليخدم بل ليخدم ويبدل نفسه فدية عن كثيرين.. نستخلص من قول الرب يسوع لتلاميذه أن العظيم فيهم من اختار أن يكون لإخوته خادماً باذلة دون انتظار لمقابل. وكشف أيضاً بولس رسول الجهاد لتلميذه تيموثاوس عن سر للعظمة حين كتب له في رسالته قائلا: "إن التقوى مع القناعة تجارة عظيمة.. إن التجارة الرابحة هي التقوى ومعناها السلوك بخوف الله ومراضاته مع القناعة وهي الاكتفاء بما نمتلك.. يعطيان رباً عظيماً ومن كان رباً عظيماً فهو عظيم.. ونستخلص من قول بولس رسول الجهاد لتلميذه تيموثاوس أن العظيم هو من اختار التقوى منهجاً لحياته والقناعة ضابطاً لطموحاته".^٢

لقد ذكر متى التبشير في إنجيله قصة امرأة كنعانية جاءت صارخة إلى الرب يسوع قائلة: "ارحمني يا سيدي يا ابن داود.. ابنتي مجنونة جداً!". فلم يجبها بكلمة.. فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: "أصرفها لأنها تصيح وراءنا!". فأجاب وقال: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة!". فأتت وسجدت له قائلة: "يا سيدي أعني!". فأجاب وقال: "ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب". فقالت: "نعم يا سيدي. والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها". حينئذ أجاب يسوع وقال لها: "يا امرأة عظيم إيمانك!.. ليكن لك كما تريدين!.. فشفيت ابنتها من تلك الساعة.. أظهرت الكنعانية إيماناً عجبياً. لقد تواضعت فلم تحرم نفسها من بركة شفاء ابنتها. إن الإيمان العظيم يحرك يد الله القوية لتجري معنا المعجزات لمجد اسمه.. نستخلص من قصة المرأة الكنعانية أن العظيم هو من اتصف بالإيمان الواثق الذي لا يتزعزع.. ومما أسلفنا من تأملات نستطيع أن نحدد أبرز الصفات التي يمكن أن يتحلى بها المرء ليوصف بالعظمة وهي ثلاث صفات: الصفة الأولى: التقوى مع القناعة.. والصفة الثانية: الخدمة والبذل دون انتظار لمقابل.. والصفة الثالثة: الإيمان الواثق الذي لا يتزعزع.^٣

وإذا عدنا إلى المرأة الشونمية التي قرأنا عنها في سفر الملوك الثاني الأصحاح الرابع لوجدنا أنها تمتعت بالصفات الثلاث: لقد كانت تعيش مع زوجها التقى بالتقوى الحقيقية أي بخوف الله وابتغاء مرضاته من كل قلبها..

^١ سفر الملوك الثاني ٤: ٨ - ٣٧ ، إنجيل مرقس ١٠: ٣٥ - ٤٥ ، [استمع إلى الإنجيل](#)

^٢ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ٣ - ١٦

^٣ إنجيل متى ١٥: ٢١ - ٢٨

إن بولس الرسول حين وُجّه تلميذه تيموثاوس لاتباع التقوى حذرهُ من أناس يتظاهرون بالتقوى قائلاً عنهم: "إن لهم صورة التقوى لكنهم منكرون قوتها. فأعرض عن هؤلاء" .. ولا يعرف قدر التقوى وخوف الله إلا من كان من صفاته التقوى وخوف الله وبهذا تحلت الشونمية وهذه هي الصفة الأولى للعظمة.. فلقد قالت لزوجها عن أليشع: "قد علمت أنه رجل الله مقدس الذي يمرّ علينا دائماً" .. إن خوف الله وتقواه لا ينشأ إلا عن معرفة الله. ومعرفة الله ثمارها محبة الله ومحبة القريب كالنفس.. والمحبة في عظمتها لا تطلب ما لنفسها.^١

قالت المرأة الشونمية لرجلها قد علمت أنه رجل الله مقدس الذي يمرّ علينا دائماً ثم عرضت على زوجها أمراً وافقها عليه وهو تجهيز حجرة لأليشع النبي ولغلامه جيحزي.. فلقد كان أليشع النبي يأتي إلى بيت الشونمية كلما عبرت ببلدتها شونم واستراحت أحشاؤه إلى ذلك الرجل الشونمي وامرأته الشونمية وأحسن رجل الله أن يبيتها خير مكان يستقر فيه كلما عبر بشونم.. وإذا انفتح القلب بالمحبة النقية انفتحت أبواب البيت باتساع ورحابة. كانت الشونمية امرأة عظيمة لأنها كانت تخدم وتبذل دون انتظار لمقابل.. قال الرب يسوع: "من أراد أن يكون فيكم عظيماً يكون لكم خادماً" .. ليتنا نتعلم منها كيف نبذل مما نملك وتخدم غيرنا فما استحق أن يولد من عاش لنفسه.^٢

عرض أليشع النبي على المرأة الشونمية أن يقدم إليها خدمة بأن يكلم الملك أو رئيس الجيش عنها إذا كان يعوزها شيء.. فأبذت فتاعتها واكتفاهها بإحسانات الله عليها ورضاهها بأحوالها وأخبرته أنها مستريحة في وسط شعبها.. ولكن جيحزي غلام أليشع النبي أدرك أن شيئاً ينقصها فقال لأليشع: "إن الشونمية ليس لها ولد ورجلها قد شاخ" .. فدعاها أليشع النبي وقال لها: "في هذا الميعاد نحو زمان الحياة تحتضنين ابناً!.. كان عدم الإنجاب مشكلة لسارة زوجة إبراهيم. وراحيل زوجة يعقوب. وحنة أم صموئيل. وأليصابات أم يوحنا المعمدان.. ولكن الرب يكافئ أبقياه في حينه.. وتحقق كلام أليشع للشونمية ولم يمر العام إلا وكانت تحمل ولداً.^٣

كبر الولد وأصبح غلاماً. ولكن حدث أمر مؤلم إذ خرج الولد يوماً إلى أبيه عند الحصادين في الحقل ورجع محمومًا محمولاً. أتوا به إلى أمه وجلس على ركبتيها إلى الظهر ثم مات!.. فصعدت وأضجته على سرير رجل الله وأغلقت عليه وخرجت!.. وهنا تسطع أنوار الإيمان الواثق الذي لا يتزعزع وهذه هي الصفة الثالثة للعظمة!.. لم تصرخ الشونمية ولم تولول بل وضعت تفتها في إله أليشع النبي وقالت لزوجها: "أنها ذاهية إلى رجل الله أليشع ولم تخبر زوجها بموت الولد" .. فحين سألتها: "لماذا تذهبن إليه اليوم؟ . لم تجبه إلا بكلمة سلام!.. رآها أليشع من بعيد فأرسل جيحزي غلامه ليسألها "سلام للولد فقالت سلام أى سلام هذا والولد ميت؟! لا يجيب بأنها أخبار سلام في أعماق التجربة المحرقة إلا من فاض قلبه بسلام الله.. إن سلام العالم يعتمد على المنظور ولكن سلام الله يعتمد على غير المنظور قال الرب يسوع: "سلامي أعطيكم ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا".^٤

إن الإيمان الواثق يُعطي في الأزمان صبراً وتجدداً وسلاماً عجبياً!.. لقد وصف أليشع الشونمية بأنها مرة النفس!.. والنفس المرة لا ملجأ حصين لها إلا انتظار الرب وحده. والنظر إليه في ثقة وإيمان.. لقد جاء أليشع إلى بيتها ودخل إلى الولد الميت وأغلق على نفسيهما كليهما وصلى إلى الله. وسمع الله صلاته واستجاب له وأقام الله الولد. فدعاها أليشع وقال لها: "احملي ابني". وكان حباً فقدمت شكراً وسجوداً للاله القدير. ما أروع ما سجله الوحي الإلهي عن قصتها وبدأه بهذه الكلمات: "وفي ذات يوم عبر أليشع إلى شونم وكانت هناك امرأة عظيمة!"^٥.

أدعوك أحي لتشارك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أسألك لتهبني ذلك الإيمان الواثق المقرون بالسلام الدائم الذي يفوق كل عقل.. هبني أن أكون لغيري خادماً ولأحبائي عبداً.. مثالي ربي يسوع الذي أتى لا ليخدم بل ليخدم بأذنا نفسه فدية عن كثيرين.. أتى إليك سيدي يا من وعدت بقولك: من يقبل إلي لا أخرجته خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ٣: ٥ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١٣: ٥

^٢ إنجيل متى ٢٠: ٢٠ - ٢٨

^٣ سفر الملوك الثاني ٤: ١١ - ١٧

^٤ سفر الملوك الثاني ٤: ١٨ - ٣٢

^٥ سفر الملوك الثاني ٤: ٣٣ - ٣٧

، إنجيل يوحنا ١٤: ٣٧